ألف حكاية وحكاية (٥٨)

يعقوب الشارونى

هدية من الشمع

وحكايات أخرى



مكتبة مصر

ألف حكاية وحكاية (٥٨)

هدية من الشمع

وحكايات أخرى

تأليف

يعقوب الشارونى

رسوم

نسيم



مكتبة مصر

المفاتيح والتفكير الإبداعى

حدَّثَتْنى أمٌّ شابةٌ قالَتْ : ذهبْتُ مع صديقتى العروس إلى شقَّتِها الجديدةِ ، التى تقومُ بإعدادِها لتكونَ بيتَ الزوجيةِ . وكانَ معَنا أخوها الصغيرُ ، الذى لا يتجاوزُ عمرُهُ خمسَ سنواتٍ . ووقَفْنا فى شرفةِ المنزلِ نتحدَّثُ ، وكانَتْ تُمسِكُ بين يدَيْها مفاتيحَ الشقةِ . وبغيرِ أن تتنبهَ ، سقطَتِ المفاتيحُ إلى الشارعِ . وكم انزعَجْنا عندما وجدْناها قد وقعَتْ فى حفرةٍ كبيرةٍ ، يمتلئُ قاعُها بالماءِ . وأسرعْتُ أنا وصديقتى ننزلُ إلى الطريقِ ، وتركْنا الأخَ الصغيرَ فى الشرفةِ.

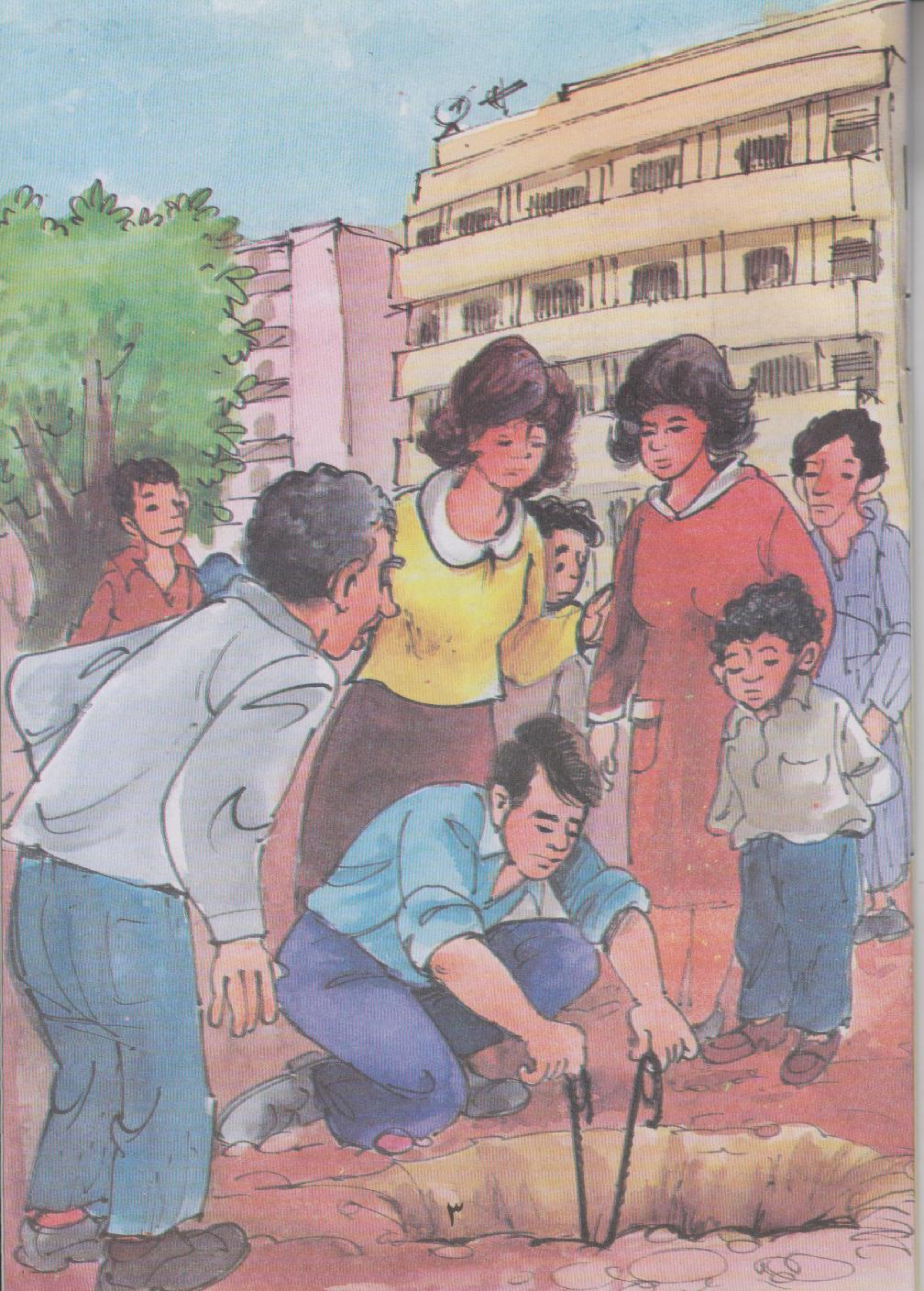
وفجأةً وجدْنا الصغيرَ يصيحُ . وفهِمْنا أن بابَ الشقةِ الذى تركْناه مفتوحًا ، قد أغلقَهُ تيَّارُ الهواءِ . ولم يعرفِ الصغيرُ كيف يفتحُهُ من الداخلِ ، ولم تكنْ معَنا المفاتيحُ لفتحِ البابِ من الخارجِ!!

وتَطوَّعَ أحدُ الشبابِ ، فنزلَ إلى الحفرةِ وهو يرتدى حذاءً مطاطيًّا طويلاً ، بعد أن قالَ إنه يعرفُ أن الحفرةَ ليسَتْ عميقةً . لكنه لم يستطعِ العثورَ على المفاتيحِ .

هنا تَقدَّمَ إلينا فتًى فى التاسعةِ من عمرِهِ ، خرجَ من دكانِ نجارٍ مُجاورٍ ، ومعه قطعةُ حديدٍ كبيرةٌ على شكلِ حدوةِ حصانٍ ، وقالَ :

"اربطوا هذا المغناطيسَ بحبلٍ ، وأنزِلوهُ فى الحفرةِ ، واجعلوه يمرُّ على قاعِها ، ثم انتظروا النتيجةَ."

وسرعانَ ما نفَّذْنا اقتراحَهُ . وبعد دقائقَ ، جذَبْنا المغناطيسَ ، لنجدَ المفاتيحَ عالقةً بهِ !! وهكذا استطَعْنا إنقاذَ الصغيرِ من محبسِهِ !!

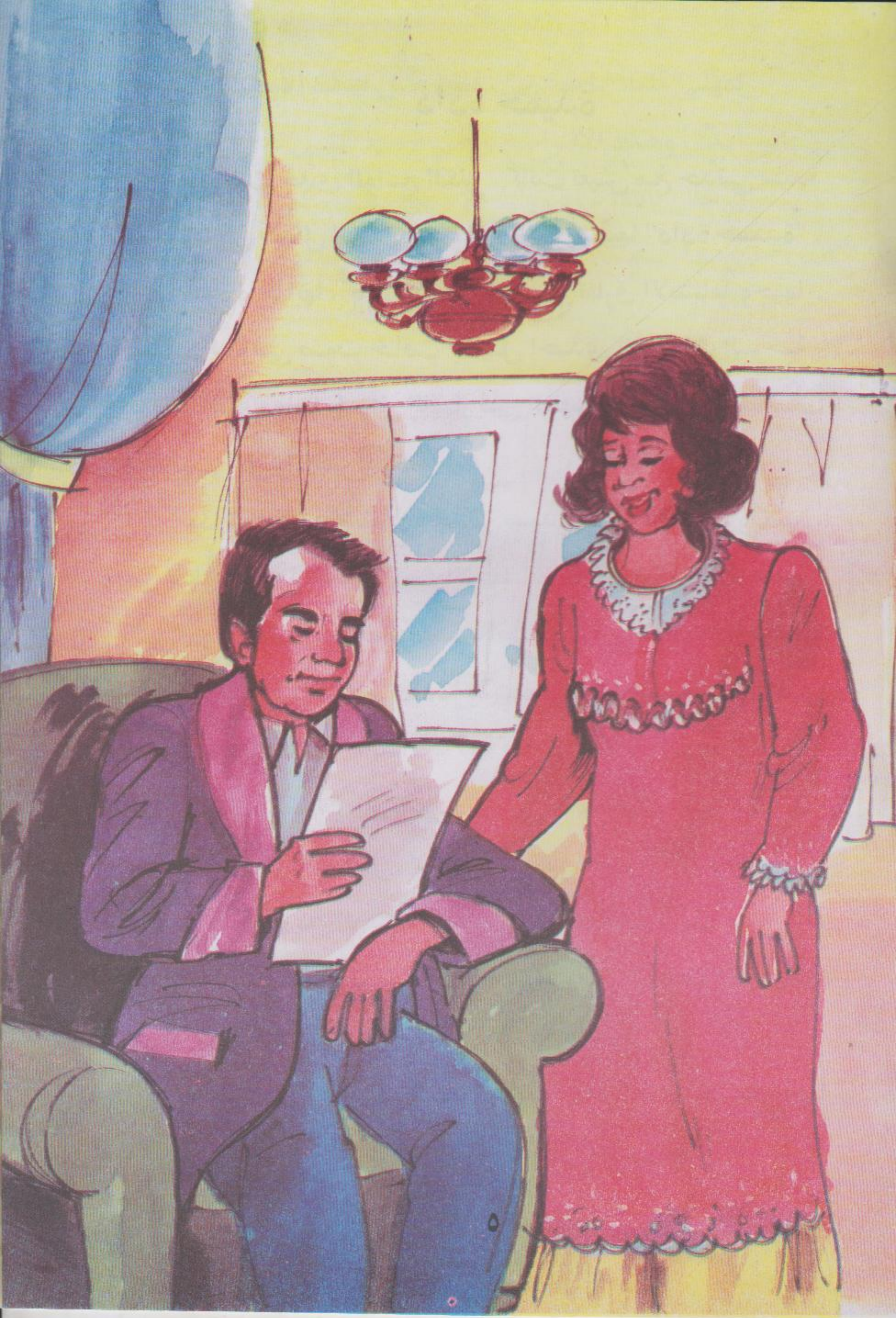


إنه يفعل الكثير

لى صديقٌ كانَ يُحِسُّ أنه لا يتقدَّمُ فى الحياةِ إلا ببطءٍ شديدٍ، وبدأ يشعرُ بالفشلِ والإحباطِ. ووجدَتْ زوجتُهُ أن كلماتِ التشجيعِ التى كانَتْ تقولُها له أصبحَتْ بغيرِ فائدةٍ، لذلك لجأتْ إلى أسلوبٍ جديدٍ.

ففى بدايةِ السنةِ الجديدةِ، كتبَتْ بيانًا عمَّا حقَّقَهُ زوجُها من نجاحٍ فى السنةِ الماضيةِ. وقد عدَّدَتْ فيه ما حقَّقَ من نجاحٍ فى كثيرٍ من نواحى عملِهِ. ولم تكتفِ بذلك، بل ذكرَتْ أيضًا ما قدَّمَهُ لها ولأولادِهما: مساعدةَ الزوجةِ فى أعمالِ البيتِ عندما تكونُ مُتعَبةً.. معاونةَ الابنةِ فى الاستعدادِ لامتحانِها آخرَ العامِ حتى نجحَتْ بتفوُّقٍ.. شراءَ أجهزةِ صيدِ السمكِ التى كانَ الابنُ الأكبرُ يُلِحُّ فى طلبِها.. الاهتمامَ بالجارِ المريضِ الذى يعيشُ وحيدًا حتى أصبحَتْ صحتُهُ أحسنَ.

وكم تغيَّرَتْ نفسيةُ صديقى بعد أن قرأ هذا البيانَ، فقد وجدَ دليلاً محسوسًا على أن زوجتَهُ وأولادَهُ وجيرانَهُ يُقدِّرونَهُ خيرَ تقديرٍ، وأنه كثيرًا ما ينسَى أشياءَ صغيرةً، لكنها مُفيدةٌ ومهمةٌ، يقومُ بها كلَّ يومٍ، لخيرِ عددٍ كبيرٍ من الناسِ الذين يحبونَهُ.



دادة حميدة

فى بيتِ جدِّى الواسعِ الكبيرِ ، كانَتْ تعيشُ مع جدَّتى سيدةٌ تساعدُها فى أعمالِ البيتِ المختلفةِ ، كُنَّا نُسمِّيها "دادة حميدة" . ورغمَ كثرةِ واجباتِها ، كانَتْ دائمةَ المرحِ ،لا تُفارِقُ الابتسامةُ وجهَها ، تُغنِّى دائمًا فى صوتٍ خافتٍ جميلٍ إحدى الأغنياتِ المرحةِ ، وذلك أثناءَ عملِها طوالَ النهارِ فى الطهى والغسيلِ والتنظيفِ والترتيبِ ، بل والخبيزِ أيضًا.

وذاتَ يومٍ ، جاءَتْ إلى جدَّتى سيدةٌ تبيعُ الأقمشةَ ، وتكسبُ من تجارتِها كثيرًا ، لكننى كنْتُ ألاحظُ أنها تُخفِى فى داخلِها همومًا كثيرةً . ولمّا كنْتُ صبيًّا صغيرًا ، فقد استطعْتُ أن أسمعَ حوارًا غريبًا دارَ بين بائعةِ الأقمشةِ و"دادة حميدة" ، فى لحظةٍ لم تكنْ فيها جدَّتِى معهما . قالَتِ البائعةُ :

"كيفَ يُمكِنُكِ أن تُغنِّى وتفرحى دائمًا ؟! لو أنَّنِى مكانُكِ ، وفكَّرْتُ قليلاً فى المستقبلِ ، سيزولُ كلُّ هذا المرحِ . افترضى أنَّكِ مرضْتِ وعجزْتِ عن العملِ ، أو افترضى أن أصحابَ البيتِ قرَّروا تركَ هذه المدينةِ الصغيرةِ ليسكنوا مع أولادِهم فى العاصمةِ لاستكمالِ دراساتِهم ، كما فعلَ كثيرون غيرُهم .. أو افترضى..."

وقبلَ أن تُكمِلَ حديثَها ، أوقفَتْها "دادة حميدة" بطريقتِها المرحةِ عن الاستمرارِ فى هذه الافتراضاتِ ، وقالَتْ لها :

"تمهَّلى قليلاً يا سيِّدتى ، فإن مثلَ هذه الأوهامِ لا تشغلُ ذهنى أبدًا ، وهذه الافتراضاتُ هى نفسُها التى تجعلُ الإنسانَ تعيسًا. إن ثقتى باللهِ كبيرةٌ ، واللهُ عزَّ وجلَّ ، لن يتركَنى أحتاجُ أبدًا."

وعندما أستعيدُ الآنَ تلك الكلماتِ ، أُدرِكُ بوضوحٍ سرَّ ذلك التفاؤلِ الدائم ، الذى كانَتْ تتمتَّعُ به "دادة حميدة".



فوق الشجرة

اقتربَ "حسام" من شجرةِ وردٍ .. لقد شاهدَ وردةً حمراءَ فوقَ أحدِ أغصانِها . ومدَّ ذراعَيْهِ ، وأمسكَ بالغصنِ ، لكنه سرعانَ ما أطلقَ صيحةً ، وأبعدَ يدَهُ مُتألِّمًا.

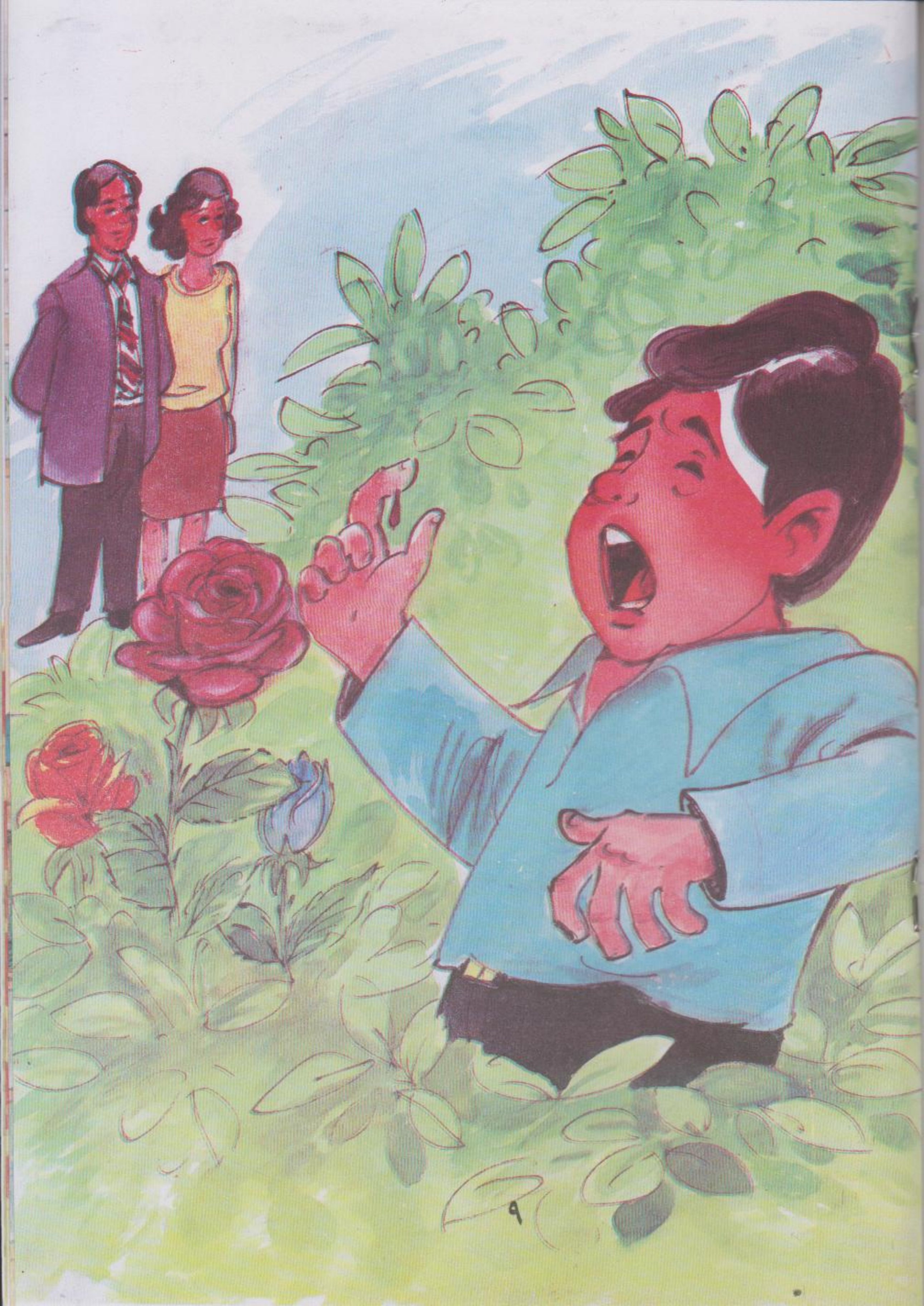
وشاهدَ قطراتٍ صغيرةً من الدمِ تسيلُ من إصبعِهِ ، الذى انغرسَتْ فيه شوكةٌ ، فالتفتَ إلى الوردةِ وصاحَ: "هل هذا جزائى لأن جمالَكِ أعجبَنى؟! أم أن جمالَكِ مصيدةٌ تجذبينَ بها المعجبينَ، لكى تُسبِّبى لهم الألمَ وإراقةَ الدماء؟!"

ابتسمَتِ الوردةُ فى رقةٍ وقالَتْ: "ألا يكفيكَ أن تستمتعَ بجمالى وأنا فى مكانى فوقَ فرعِ الشجرةِ؟! إن أشواكى لا تؤذى إلا مَنْ يحاولُ أن يُؤذِيَنى."

وكانَ الألمُ قد خفَّ من أصبعِ حسام ، فبدأ يفكرُ من جديدٍ فى بذلِ محاولةٍ أخرى لقطفِ الوردةِ ، عندما شاهدَ رجلاً وزوجتَهُ يقفانِ بجوارِهِ ، ويتهامسانِ فى بهجةٍ قائلَيْنِ : "ما أجملَ هذه الوردةَ !! إنها تُعطينا الأملَ المشرقَ كلَّ صباحٍ."

ثم تابعا سيرَهما فى سعادةٍ.

عندئذٍ ألقَى حسام نظرةً كلُّها ابتسامٌ إلى الوردةِ ، ومضَى هو أيضًا ، وقد امتلأ قلبُهُ بالأملِ والسعادةِ.



من المخطئ؟

فى إحدَى القُرَى ، تَخاصَمَ أخَوانِ يعملانِ بالفلاحـةِ ، أثناءَ اقتسامِ محصولِ أرضِهما ، فقالَ الأكبرُ للأصغرِ بعضَ الألفاظِ القاسيةِ ، فما كانَ من الصغيرِ إلا أن غضبَ وبَعْثَر بعضَ المحصولِ ، وانصرفَ ساخطًا.

فلمَّا جاءَ العمدةُ ليصلِحَ بين الأخوَيْنِ ، سألَهما: "مَنْ منكما الذى أخطأ؟"

وتوقَّعَ العمدةُ أن يؤكِّدَ كلٌّ منهما أن الخطأ خطأ أخيهِ ، لكنَّهُ فوجِئَ عندَما قالَ الأكبرُ:

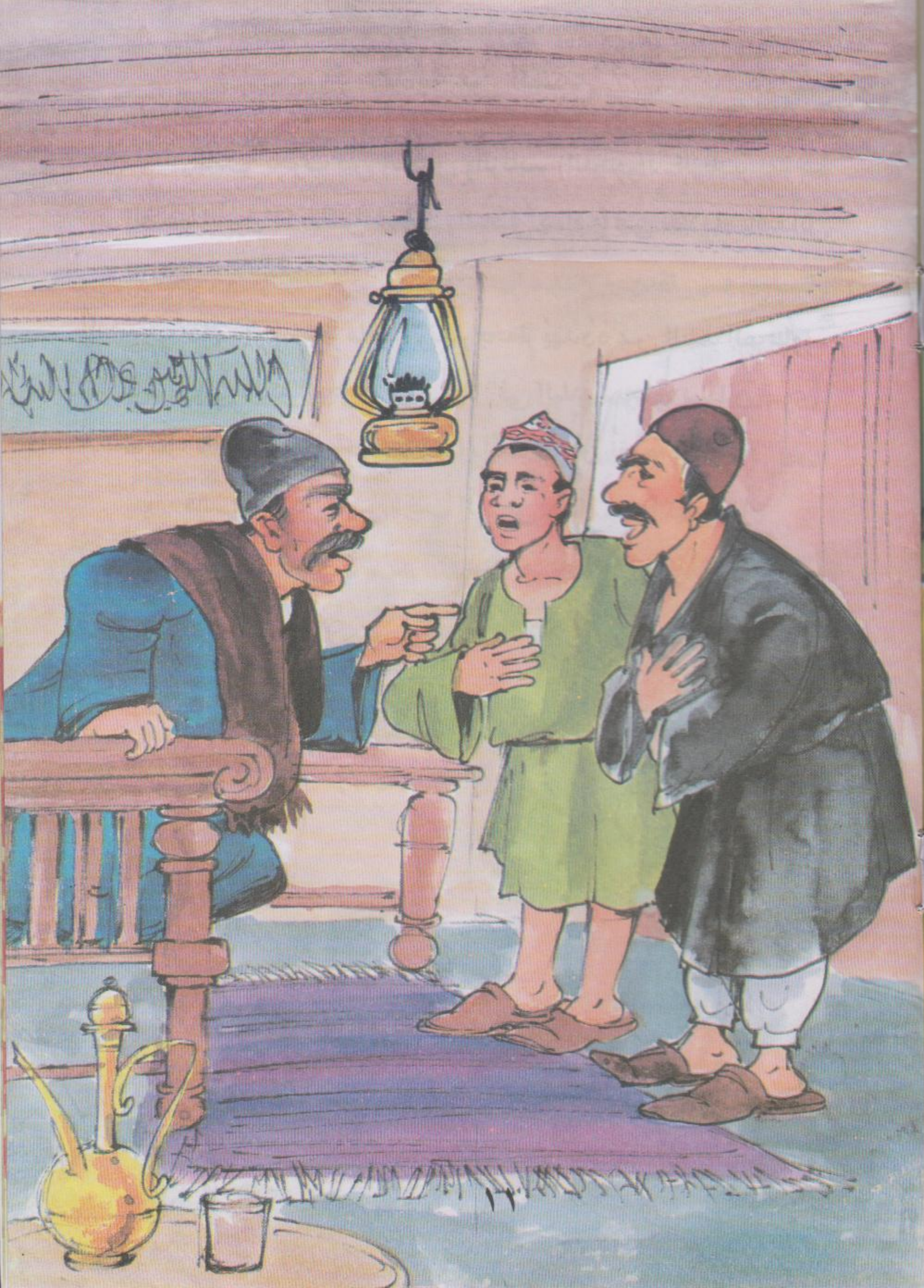
"أنا المخطئُ ، فباعتبارى الأكبرَ ، كانَ يجبُ أن أحافظَ على ألفاظى ، وأمتنعَ عن كلِّ ما يغيظُ أخى."

أما الأصغرُ ، فقالَ:

"أنا المخطئُ ... فقد كانَ يجبُ علىَّ ، باعتبارى الأصغرَ ، أن أتحمَّلَ كلماتِ أخى ولا أثورَ فى وجهِهِ."

ملأَتِ الدهشةُ نفسَ العمدةِ ، وقالَ:

"لو راجعَ كلُّ إنسانٍ نفسَهُ ، لاستراحَ القاضى."



هدية من الشمع

طالَتِ الحربُ بين النحـلِ والزنابيرِ (الدبور) .. الزنابيرُ تهاجمُ الخلايا لتسرقَ ما بها من عسلٍ ، والنحـلُ يدافعُ عن خلاياه ، فيُقاتِلُ الزنابيرَ.

ذاتَ يومٍ ، شعرَ ملكُ الزنابيرِ بخطرٍ يُهدِّدُهُ مـن البلـدِ المجاورِ ، فأسرعَ إلى ملكةِ النحلِ ، وقالَ لها: "فى البلدِ المجاورِ سلطانٌ قـوىٌّ. لو شاءَ لقاتلَنا جميعًا وحطَّمَنا ، فما رأيُكِ فى أن نُقدِّمَ هديةً له؟"

قالَتِ الملكةُ: "ليس أحبَّ إلَىَّ من هذا .. ماذا تقترحُ؟"



قالَ ملكُ الزنابيرِ: "فى الليلِ ، لا يجدُ أهلُ هذا البلدِ المجاورِ وسيلةً للإضاءةِ .. إنهم يقضونَ ليلَهم فى ظلامٍ شديدٍ دامسٍ ، يُعطِّلُ نشاطَهم ، ويؤخِّرُ أعمالَهم.

فلتكنْ هديتُنا لهم من شمعِكم. هيا نوقفُ الحربَ بينَنا ، ونتعاونُ فى تقديمِ هذه الهديةِ ، فنضىءُ مدينتَهم ، ويفرحُ سلطانُهم."

قالَتْ ملكةُ النحلِ بلا تفكيرٍ: "إذن سأطلب من جماعاتِ النحلِ الشغالةِ ، أن تعدَّ الشمعَ المطلوبَ فورًا."

قالَ ملكُ الزنابيرِ: "هذا عظيمٌ منكِ أيَّتُها الملكةُ."

لكنه قالَ بينَهُ وبين نفسِهِ: "وهكذا نقدِّمُ هديةً للسلطانِ القوِىِّ،



دونَ أن يكلِّفَنا ذلك شيئًا!!"

وبعدَ أيامٍ ، عادَ ملكُ الزنابيرِ ، وقالَ للملكةِ: "لقد أبلغْتُ السلطانَ بما اتَّفَقْنا عليه. لقد مدحْتُكِ كثيرًا أنْتِ وشغالاتِكِ . ليسَ هناكَ مَنْ يتحمَّسُ للتعاونِ مع الآخرينَ مثْلُكِ .."

هنا سألَتْ ملكةُ النحلِ في براءةٍ: "لكنْ ، ما نصيبُكم أنتم أيها الزنابيرُ في هذا العملِ؟!"

احتجَّ ملكُ الزنابيرِ في شدةٍ : "ماذا تقولينَ ؟! فكرةُ الهديةِ فكرتي . أيضًا نحن الذين قُمْنا بالاتِّصالِ بالسلطانِ ، وبإجراءاتِ تقديمِ الهديةِ . ومن ناحيةٍ أخرى فإنكم لن تفعلوا شيئًا أكثرَ من أن تتخلَّصوا من الشمعِ الزائدِ عن حاجتِكم!!"



وكانَ صوتُهُ يعلو ويشتدُّ!!

لكنَّ الملكةَ لم تشأ أن يستمرَّ النقاشُ معَهُ أكثرَ من ذلك ، فقد كانَ يُسعِدُها أن تُقدِّمَ للناسِ هديةً تُنيرُ ليالِيَهم . كذلك لم تشأ أن تبدُوَ أمامَ سلطانِ المدينةِ المجاورةِ ، بمظهرِ مَنْ يعدُ وعدًا ولا يفى به. وأخذَ ملكُ الزنابيرِ الشمعَ.

وفى الليلةِ التاليةِ ، فوجئَتِ الملكةُ مع كلِّ شغالاتِها بمشاهدةِ النورِ يسطعُ من نوافذِ المدينةِ كلِّها . كانَتِ الشموعُ مُضاءةً فى كلِّ بيتٍ ، وعلى ضوئِها يقرأ الأطفالُ الكُتُبَ ، وتخيطُ الأمَّهاتُ الملابسَ ، وتحكى الجدَّاتُ الحكاياتِ ، ويُصلِحُ الرجالُ الأدواتِ للعملِ وهم يُغَنُّونَ.

وسمعَتِ الملكةُ أحاديثَ ، عرفَتْ منها أن احتفالاً كبيرًا سيُقامُ بالمدينةِ غدًا . لشكرِ الزنابيرِ ، ولم يردْ ذكرٌ للنحلِ أبدًا !!

وثارَتْ ثائرةُ شغالاتِ النحلِ ، مُغتاظةً مُحتجَّةً . وتقدَّمَتْ كبيرتُهُنَّ تقترحُ أن يشنَّ النحلُ الحربَ على الزنابيرِ ، لأخذِها حقًّا هو من نصيبِ النحلِ .. لكنَّ الملكةَ قالَتْ فى هدوءٍ: "لماذا الحربُ؟! لقد قدَّمْنا الشمعَ ليُضىءَ الإنسانُ ليالِيَهُ المُظلمةَ ، وقد تَحقَّقَ ما أرَدْنا . وسيعرفُ الناسُ يومًا مَنْ هو صاحبُ الفضلِ الحقيقِيِّ." وقد تَحقَّقَ ما تنبَّأتْ به ملكةُ النحلِ ..

فاليومَ ، يقتلُ الناسُ الزنابيرَ ، ويحرصونَ على النحلِ حرصَهم على الأبناءِ الأعِزَّاءِ.

الزهرة الذهبية

أشرقَتِ الشمسُ ، وزقزقَتِ العصافيرُ ، وانطلقَتِ الطيورُ تُحلِّقُ عاليًا فى السماءِ.

واستيقظَتْ أيضًا زهرةُ عبَّادِ الشمسِ ، وراحَتْ تهزُّ نفسَها لتنفضَ عن أوراقِها ندى الصباحِ ، ثم اتَّجهَتْ بوجهِها نحوَ قرصِ الشمسِ ، وقالَتْ وهى تبتسمُ:

"صباحُ الخيرِ أيتها الشمسُ العزيزةُ . لقد انتظرْتُكِ طويلاً .. انظرى إلى أوراقى ذاتِ اللونِ الأصفرِ الذهبِيِّ ، لقد كادَتْ تذبلُ فى انتظارِ حرارةِ أشعتِكِ . أمَّا الآنَ ، فقد عادَتْ إليها الصحةُ والقوةُ ، تُعلِنُ عن فرحتِها وسعادتِها .. إننى مستديرةٌ ذهبيةٌ ، فأنا أُشبِهُكِ أيتها الشمسُ ، لكنْ لا حياةَ لى بغيرِ نورِكِ ودفئِكِ!"



صدر من هذا السلسلة

١ - كيس الخصام
٢ - طيران بغير طعام
٣ - النمر لا يهزم السلحفاة
٤ - أسد فى المطعم
٥ - كلمة سحرية
٦ - النحلة تقود العربة
٧ - جحا واللاشىء
٨ - عيد للجميع
٩ - نهاية ملك المزرعة
١٠ - انفجار فى معمل
١١ - الربح فى غرامة
١٢ - الأسد ورائحة فمه
١٣ - شاى وفطائر
١٤ - الآلة المتكلمة
١٥ - جرس الإنذار
١٦ - الأمير والحمام
١٧ - الخليفة ينقذ قطة
١٨ - القفزة الشجاعة
١٩ - يشرب ماء النهر كله
٢٠ - اعتداء المضحك
٢١ - قتلتنى يا شيطان
٢٢ - أم لا تخاف
٢٣ - لا خطر الآن
٢٤ - تغريد جحا
٢٥ - ذكاء المهرج
٢٦ - من يحبها أكثر ؟
٢٧ - لحم فى الهواء
٢٨ - الوهم الجميل
٢٩ - ذهب وعاد حافيًا
٣٠ - أعظم يوم فى حياتى
٣١ - الشمس وعنقود العنب
٣٢ - سيدة الأزهار
٣٣ - حلوى لأمير المؤمنين
٣٤ - تظاهر بالجنون
٣٥ - أذكى الأذكياء
٣٦ - القلب الذهبى
٣٧ - رجل فى الهواء
٣٨ - هزيمة أسد
٣٩ - أم فوق الجليد
٤٠ - شبح فى الحديقة
٤١ - آبار فى الصحراء
٤٢ - جحا وأغلى الأشياء
٤٣ - الرائحة والرنين
٤٤ - رأس الذئب الطائر
٤٥ - حلاوة السكر تبقى
٤٦ - الفيضان والكنز
٤٧ - جحا وحصان السلطان
٤٨ - نار فى ذيل ثعلب
٤٩ - مشمش أكل كوكى
٥٠ - يعيش .. يعيش .. يعيش
٥١ - الجائزة لمن ؟
٥٢ - قانون الغراب
٥٣ - الدنيا لا تزال بخير
٥٤ - صغيرة فى صيدلية
٥٥ - طفل بين زراعى غوريللا
٥٦ - أم لألف طفل
٥٧ - حساب رأس السنة
٥٨ - هدية من الشمع
٥٩ - الاحترام للسائق
٦٠ - بغير خصام



دار مصر للطباعة